إستحداثات قسطنطين الأول (٢٨٠ - ٣٣٧م) في الديانة النصرانية (دراسة نقدية)

Innovations of Constantine I (280 - 337 AD)

In the Christian religion (a critical study)

الباحث

أ. م. د. علي اغنيان محمد

أستاذ الأديان المساعد

researcher

A.M.D. Ali Aghanyan Muhammad

dr.ali.knayan@uofallujah.edu.iq

ملخص البحث

موضوع البحث:

استحداثات الامبراطور قسطنطين الأول (٢٨٠ – ٣٣٧ م) في الديانة النصرانية.

تناول البحث أبرز الاعمال الدينية والسياسية للأمبراطور قسطنطين الأول التي ساهمت بتثبيت اركان النصرانية (الوثنية) – البوليسية – من خلال ما ادخله في النصرانية، مع عقائد وشعائر وطقوس بعيدة كل البعد عن رسالة المسيح (عليه السلام) التي بعثه الله بها الى بني إسرائيل, وتناول البحث هذه المواضيع من خلال ثلاثة مباحث: الأول عن حياة قسطنطين (الأول) ,والثاني عن سياسته اتجاه المسيحين والثالث ما توصل اليه الباحث من أبرز الاستحداثات القسطنطينية في الديانة النصرانية , واهمية هذه الاستحداثات في تأسيس النصرانية , وأثرها الهام في هذه الديانة ,والممتد الى يومنا هذا,وختم البحث بأهم النتائج التي توصل اليه الباحث ,من نتائج ...

Abstract of the research:

Research topic: Innovations of Emperor Constantine I (280-337 AD) in the Christian religion.

Discussed: The most prominent religious and political works of Emperor Constantine I that contributed to establishing the pillars of Christianity (paganism) - the police - through what he introduced into Christianity, with beliefs, rituals and rites far removed from the message of Christ (peace be upon him) that God sent him with to the children of Israel. The research dealt with these topics through three topics: the first about the life of Constantine (the first), the second about his policy towards Christians, and the third what the researcher reached from the most prominent Constantinople innovations in the Christian religion. The research concluded with the most important results he reached by following them.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة والتسليم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الهادي الأمين، وعلى آله الاطهار المنتجبين وبعد:

فأن المسيح (عليه السلام) لم يرسل بدين جديد، فدين الله تعالى واحد وهو الإسلام، الدين الذي بعث الله تعالى به جميع رسله (عليهم افضل الصلاة والسلام) قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [1]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2] وتبحث هذه الدراسة النقدية ,النصرانية (الوثنية), بتسليط الضوء على استحداثات قسطنطين الأول ــ اثناء مدة حكمه "٣٠٦ – ٣٣٧م» في الديانة النصرانية، مع بيان أهم التطورات الدينية، وبعض المتغيرات السياسية، ذات الصلة بموضوع البحث .ومن أهم أسباب اختياري للبحث في هذا الموضوع: ما لمسته من أهمية تسليط الضوء ,لهذا الموضوع الحيوي , فالمدة التي حكم فيها قسطنطين الأول, والممتدة من أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الميلادي, مثلت تحولا جوهريا ,في الديانة المسيحية, وفرضت واقعا جديدا على المستوى الديني والسياسي للامبراطورية الرومانية , فقد أوجدت الشرعية الدينية والقانونية لتدخل الاباطرة الرومان في صياغة الشؤون الدينية ,كما لعبت دورا محوريا,في تبني ودعم ,النصرانية البوليسية , كذلك تبنت العقائد والافكار الوثنية,والفلسفية اليونانية ، ورسخت لمفاهيم اساسية في تحريف المسيحية, فمثلث استحداثاته ، نقطة تحول كبيرة ، في مسار الديانة المسيحية، من خلال تدخله في صياغتها – ولأسباب سياسية – لتلائم ما عليه هو ورعيته من عقائد وطقوس وثنية .

(١) سورة البقرة: الآيه / ١٣٦.

(٢) سورة ال عمران: من الآية/ ١٩.

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث, في بيان الدوافع الحقيقية ,وراء موقف قسطنطين الاول, من الديانة المسيحية, والاجابة عن أسباب دعمه للنصارى ,واصداره لمرسوم «ميلانو[1] ٣١٣م" الخاص برفع الاضطهاد عنهم, وكيف استطاع أن يجعل من النصرانية, الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية؟ بعد ان كانت من الديانات المهمشة والمضطهدة, وماهي السبل التي اتخذها, لدعم النصرانية البوليسية المحرفة؟

وسأتناول هذا الموضوع, في المباحث الاتية:

المبحث الأول: نبذة عن سيرة قسطنطين الاول (٢٨٠ – ٣٧٧ م) .

المطلب الاول: الولادة والنشأة واهم صفاته.

المطلب الثاني: توليه الحكم وعلاقته بالنصرانية.

المبحث الثاني: الاضطهاد الروماني ووثيقة التسامح القسطنطيني (٣١٣م)

المبحث الثالث: استحداثاته في الديانة النصرانية .واختم البحث باهم النتائج التي توصل اليها الباحث.

(١) هو المرسوم الذي اقرَّ التسامح مع النصارى عام (٣١٣م)، وسياتي الحديث عنه في المحث الثاني.

المبحث الاول
نبذة عن سيرة قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧م) وعلاقته بالنصرانية

المطلب الأول : الولادة والنشأة وأهم صفاته الشخصية.

هو قسطنطين الابن الغير الشرعي للامبراطور قسطنديوس كلوروس، من عشيقته هيلانه[١]، ولد قسطنطين حوالي سنة ٢٨٠م، وتربى في القصر الملكي في نيقوميديا، حيث ألم بإحداث الإمبراطورية، وأسرار القصر الإمبراطوري، فنشأ متفهما لأسرار السياسة.[٢]

وكان ذا طموح عظيم واطماع أعظم، وأرتكب جرائم فظيعة ليحمي سلطانه (قتل حماه ثم أصهرته الثلاثة، وأبن زوجته البكر، وغيرهم الكثير، وخلف ثلاثة اولاد, ورباهم في المسيحية، واستلموا الحكم، بعد وفاته) [٣].

والغريب انه فضلاً عن هذه الجرائم الفضيعة التي ارتكبها، وخلفيته الدينية الوثنية - كما سيأتي ـ إلا أننا نجد أن معظم المصادر والمراجع المسيحية تمدح بأخلاقه، وترفع من مكانته إلى مصاف تلاميذ السيد المسيح، وجعلت منه الحواري الثالث عشر.[٤]

ومن أسباب حصول هذه المكانة العظيمة لهذه الشخصية، هو دوره الكبير المؤثر - بعد شخصية بولس[٥] الرسول عند النصارى - في صياغة الديانه النصرانية - على أنقاض الديانة المسيحية الموحدة ,وعلى أسس وثنية قريبة الصلة بعقائد الرومان القديمة، ومن ثم نقل الديانة المسيحية من ديانة محلية إلى ديانة عالمية، وما رافق ذلك من امتيازات كبيرة لرجال الدين النصراني.. كل ذلك وغيره - كما سيأتي - دفع النصارى لتمجيده بل وتأليهه.

---

(١) هيلانه: هي قريبة للامبراطور كلوديوس ويقال انها تنصرت . ينظر: الدولة البيزنطية من قسطنطين الى انستانيوس، زبيده عطا، دار الفكر العربي، ص١٢٤.

(٢) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، سيد أحمد علي الناصري ,النهضة العربية، ١٩٩١ م ص ٤٢٨.

(٣) المجمع المسكوني الأول الأب أنطوان عرب، مكتبة الكتب المسيحية،ط٥، د.ت,ص ٣٢٥.

(٤) ينظر: الإمبراطور قسطنطين الحواري الثالث عشر الشفيع ,الماحي أحمد، د.ت,ص ٤٩.

(٥) الؤسس الاول للديانة النصرانية المحرفة، وعند النصارى رسول المسيح. ينظر: بواص والمسيحية ، د. محمد ابو الغيط الفرات، دار الطباعة المحمدية ، ١٩٨٠م، ص٢٢.

وقد تمتع قسطنطين بصفات أهلته ليلعب الدور الكبير في واقع الإمبراطورية السياسي والديني والثقافي، فقد تميزت شخصيته بسمة ومكانه عالية "عند الرومان" ,"فكان فارع الطول مهيب الطلعة وصاحب سيرة حسنة عند النصارى، وشديد الذكاء، وذو دهاء سياسي عظيم، واحتفظ حتى آخر حياته بقوته، وصحته، ولم يكن لقلة تعلمه أثر على تقديره للعلم والتعلم... وكان طموحا إلى أبعد الحدود".

وكانت وفاته عام ٣٣٧م ,ونقل جثمانه إلى مدينة القسطنطينية[١]، ودفن بكنيسة الرسل، في ضريح احيط بمعالم القداسة، واعتبر قسطنطين " عند النصارى بمثابة" الرسول أو الحواري الثالث عشر.[٢]

المطلب الثاني: توليه الحكم وعلاقته بالنصرانية.

كان الإمبراطور قسطنديوس والد قسطنطين الاول قيصرا حاكما لثلاث مقاطعات من الإمبراطورية، وبعد وفاة قسطنديوس , حاكم الجزء الغربي من الإمبراطورية الرومانية، ، بعث ابنه قسطنطين، حاكما على غالية ، و إسبانية، وبريطانية، فأعلن نفسه قيصرا على تلك الولايات الثلاث، وساهمت أحداث وظروف سياسية[٣] ، إضافة لما تميزت به شخصية قسطنطين , من أن يتولى حكم الإمبراطورية الرومانية، ليصبح الحاكم المطلق لها، وذلك في سنة ٣٢٤م. وانفرد بهذا الحكم إلى وفاته عام ٣٣٧ م[٤].

وبرزت شخصية الامبراطور قسطنطين السياسية حين اندلا ع الحروب الاهلية التي دامت سبع عشرة سنة ، فقد تمكن ان ينتصر على جميع خصومه ومنافسيه الواحد تلو الآخر، حتى تم له توحيد الإمبراطورية الرومانية سنة ٣٢٣م.[٥]

---

(١) هي المدينة التي انشأها الامبراطور قسطنطين، وتسمَّت باسمه، ينظر: الشرق الاسلامي والدولة البيزنطية زمن الايوبيين، زبيده عطا، القاهرة ، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٩.

(٢) ينظر: الامبراطور قسطنطين الحواري الثالث عشر، ص٥٠.

(٣) ينظر: الروم اسد رستم، ، الروم في سياستهم وحضارتهم ، وثقافتهم ، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م، ص ٥٤.. ٥٥ .

(٤) ينظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ,د أحمد علي عجيبة .دار الآفاق العربية ,القاهرة، ٢٠٠٦م ,ص ٢١٨.

(٥) ينظر: اوربا العصور الوسطى ، التاريخ السياسي, د.محمد سعيد عبدالفتاح عاشور، مكتبة طريق العلم ,د.ت .ج١,ص٤٣.

وقد تميزت شخصيته بسمعة ومكانة مرموقة، وكان طموحاً الى ابعد الحدود,[١] واستطاع تحقيق إنجازات وانتصارات عديدة ومهمة خلال حياته السياسية، مكنته من توحيد الإمبراطورية الرومانية واخضاعها تحت حكمه[٢], وما ان اتم الفراغ من المشاكل السياسية التي كانت تقف عائقاً دون توحيده للامبراطورية الرومانية وانشائه العاصمة الجديدة للامبراطورية[٣],

حتى أبدى اهتماماً كبيراً للحياة الدينية, فقبيل توليه السلطة كحاكم أوحد للامبراطورية (عمل على الغاء عبادة هرقل .. وابدلها بعبادة رب الشمس الذي لا يقهر ، والذي كانت عبادته منتشرة في منطقة غالة الرومانية)[٤] .

وعمل جاهداً على توظيف جميع إمكانياته كحاكم وحيد للامبراطورية.

علاقته بالنصرانية:

نشأ قسطنطين الاول ببيت يدين بالوثنية، فوالده كان يدين بعبادة (آله الشمس، وهي الديانة الرسمية للامبرطورية، التي كان يدين بها قسطنطين الاول..)[٥].

وعن مسيحية قسطنطين الاول من عدمها، فقد اختلف الباحثون بهذا الشأن، اختلافا كبيرا، خاصة من موقفه المتسامح مع المسيحيين، ولكن من جانب آخر، أنه لم يتعمد إلا في إيامه الاخيره، وهو على فراش الموت. مما يثير الشكوك حول اهتدائه للنصرانية عن قناعة تامة، كذلك موقفه المتسامح من اتباع الديانة الوثنية الرومانية .. وغيرها الكثير من الدلائل التي تؤكد أن السبب الرئيس وراء تسامحه، ودعمه للنصارى، هو سبب سياسي لا ديني[٦].

وعن اهتدائه للمسيحية، وردت قصص خرافية، منها أنه رأى علامة الصليب في السماء، وأنه رأى السيد المسيح في السماء، ومعه علامة الصليب، وإنه بهذا يغلب الاعداء[٧].

---

(١) معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى، د. محمود سعيد عمران،اسد رستم ، مؤسسة هنداوي,٢٠١٨م, ص٥٢.

(٢) ينظر: الدولة والكنيسة، د. رأفت عبدالحميد، دار قباء للطباعة والنشر ،١٩٨٦م, ج ١/ ص ٩٨-٩٩.

(٣) المصدر نفسه: ج /١ص ١٤٠.

(٤) ينظر: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ,الناصري، ط١ ، القاهرة،ص ٣٣١, بتصرف.

(٥) تكوين أوربا، كريستوفر دوس، ترجمة : سعيد عبد الفتاح عاشور، محمد مصطفى زيادة سلسلة الألف ,كتاب مؤسسة سجل العرب، القاهرة. ١٩٦٧م,ص٢

(٦) ينظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إيليرين ترجمة أ. د. سهيل زكار، دار قتيبة ,د.ت,ص ١٦٧.

(٧) ينظر: حياة قسطنطين العظيم، يوسابيوس القيصري، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٢٤، تحت عنوان : كيف أرسل له الله - وهو يصلي - رؤية الصليب من نور في السماء في منتصف النهار، وكتب تحته عبارة تنصحه، أنه بهذا يغلب.

وهذه الرواية تذكرنا بروايات مشابهه وردت عن بولس الرسول - المؤسس الأول للديانه النصرانية - (انه اقترب إلى دمشق، فبغتة أبرق حوله نور من السماء.. وسمع صوتا.... فقال الرب أنا يسوع..)[١] ومن هذه الروايات الخرافية ,عند مسيرته وجنده في أحد المعارك سنه ٣١٢م: (وعندما مالت شمس الظهيرة إلى الغرب ... وإذا بهاله تضيء كبد السماء تعانق صليبا خط تحته بأحرف من نور - بهذا تنتصر ، فعقدت لسانه وجيشه الدهشة)[٢]

لقد وجدت هذه القصص والروايات الخرافية، البعيدة عن المنطق العقلي السليم، صدى كبيرا بين رعايا الإمبراطورية الرومانية، فتقبلوها، واعتقدوا بصحتها، ولا غرابة في ذلك، خاصة إذا ما علمنا، أن حياتهم الدينية - وفي اغلب التطورات والاستحداثات التي مرت بها المسيحية - كانوا فيها بعيدين كل البعد عن التفكير المنطقي السليم، لاسيما في المسائل الدينية؛ فكانت ميولهم عاطفية، كما كانت لخلفيتهم العقائدية المتمثلة بتقديس الاباطرة، وتأليههم لهم، وما للوثنية وطقوسها الدينية البالية الموروثة والمتأصلة في نفوسهم،[٣] وحياتهم الدينية، أثرها الكبير في قبول تلك الروايات والقصص الخيالية. ومن أمثله تمجيدهم أباطرتهم، أنهم كانوا يقدسون صورهم وتماثيلهم، فيقومون بأشعال البخور أمام تلك الصور[٤] وإذا كانت حياة الإمبراطور قسطنطين، السياسية والعسكرية، مليئة بالانتصارات [٥]، إلا أن إسهامته، واستحداثاته في الدين النصراني، كانت أكبر وأعظم في نفوس النصارى[٦] من جميع تلك الانتصارات، والتي توجت بتوحيد الإمبراطور الرومانية.

---

(١) سفر اعمال الرسل سفر أعمال الرسل ... الإصحاح : ٢٠/٩-٢١، الكتاب المقدس العهد الجديد، منشورات دار المشرق - بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) الدولة والكنيسة، أسد رستم، ج ١ /ص ١٠٤.

(٣) ينظر المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبر، ترجمة: د. عبد الحليم محمود، د.ت , منشورات المكتبة المصرية, د.ت. ص ١٨٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٦٩.

(٥) قد برزت شخصية الإمبراطور السياسية والعسكرية، حين تمكن من انهاء الحروب الاهلية ، والانتصار على اعدائه ، وخصومه.. ثم توحيد الإمبراطورية الرومانية، عام ٣٢٣م. ينظر :أوربا العصور الوسطى التاريخ السياسي، د محمد سعيد عبد الفتاح عاشور ، ج١/ ص٤٣.

(٦) ينظرة تاريخ الكنيسة المفصل، بولس باسيم، ترجمه انطوان الغزال وصبحي حمود اليسوعي، دار المشرق ، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ١ ص ٢٠٨.

المبحث الثاني
الاضطهاد الروماني ووثيقة التسامح القسطنطيني (٣١٣م)

تميزت المدة الزمنية لحكم قسطنطين الاول(٣٠٦ – ٣٣٧ م) كونها مرحلة تحولّ من الديانات الوثنية المختلفة والمتداعية الى نصرانية ذات طابع وثني، بما أحدثه من قرارات دينية ولّدت تأثيراً عميقاً على التوجه الديني للامبراطورية الرومانية منها منحة السمة القانونية والشرعية للديانة النصرانية الوثنية , ولأهمية هذا الاستحداث القسطنطيني سأتناول هذا المبحث. من خلال المطالب الآتية:

المطلب الاول: الديانة النصرانية في ضل الدولة الرومانية.

قبل الحديث عن استحداثات واعمال قسطنطين واسهامته في الديانة المسيحية ، لا بد من القاء الضوء على واقع الديانة المسيحية والمسيحيين بصورة عامة.

نشأت المسيحية في فلسطين ، وكانت تحت حكم الإحتلال الامبراطوري الروماني ,واعتنق العديد من الرومان هذه الديانة، وكانت لخليفتهم الثقافية ــ المتأثرة بالفلسفة الوثنية ـ تأثيرها الكبير على المسار العقائدي والتشريعي (الطقسي الوثني) للنصرانية.

وانتشرت بعد ذلك في ربوع بلاد أوربا, وتشكلت الديانة النصرانية، وفق ما أراده لها (بولس) المؤسس الحقيقي لها. ديانة محرفة عن المنهج الالهي الحقيقي. الذي كان يدعو له رسول الله تعالى وعبده عيسى (عليه السلام).

ومن تاريخ عبور النصرانية حدود الامبراطورية الرومانية ,شرعت بالتبشير لجميع رعايا تلك الدول – غير مكتفية على الشعب اليهودي – وأخذ حكام الامبراطورية بمباشرة اضطهادهم بين سنة ٦٤م وسنة ٣١٣م سنة البراءة[١]. وكانت هذه الاضطهادات تمارس وفق تشريعات خاصة وملزمة (إن الاضطهاد اجري بموجب تشريع خاص صدر عن الامبراطور (نيرون)[٢] سنة ٦٤م، وقضى بأن لا يكون احدا مسيحياً.[٣]

(١) الروم ,اسد رستم، ج١/٢٣ص.

(٢) الامبراطور الروماني الطاغية، الذي اشتهر باضطهاده وتنكيله بالمسيحيين عام ٦٨م . ينظر: المسيحية ، د. احمد شلبي، مكتبة النهضة، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٨م، ص٨٣.

(٣) محاضرات في النصرانية، الشيخ محمد ابو زهرة ، الرئاسة العامة للدراسات والبحوث، الرياض، ١٤٠٤هـ ، ص٣٧.

لقد نشأت النصرانية في ظروف صعبة متأثر بإجواء الامبراطورية البيزنطينية الرومانية شديدة التمسك بتقاليدها واعرافها ذات الاصول الوثنية ١.

وقد شهد المؤمنون الاوائل بالمسيحية شتى أنواع التنكيل والتعذيب والعنف. وتلت تلك المدة العصيبة ,الأمر الامبراطوري بهدم جميع الكنائس، وايقاع العذاب العنيف بأساقفة النصارى، اضافة الى حرق كتبهم المقدسة.

وعموما يمكن رصد سببين أساسيين شهدته النصرانية في المدة الزمنية ما بين دخول الديانة النصرانية الى الامبراطورية الرومانية وبين حكم الامبراطور قسطنطين لها.

الاول: يتمثل بالاضطهادات الشديدة الموجهة من قبل الدولة والتي تتفق والطابع الرسمي للامبراطورية والمتمثل بالصراعات الفكرية والآديولوجية الدينية, النابعة والمتاصلة بالمجتمعات البيزنطينية الرومانية الوثنية, فقد شهدت المسيحية صراعات وجودية وتحديات فكرية هائلة نتيجة مواجهاتها الحتمية مع الافكار والثقافات الفلسفية اليونانية الوثنية فكان من واجب الديانة المسيحية باعتبارها الديانة الشاملة للتعاليم الالهية[١] ان تقرير اعتماد تلك التعاليم على كافة رعايا الامبراطورية, لتعدل ما ورثه هؤلاء من الايمان, بالخرافات والتقاليد الفلسفية الوثنية البالية, والواقع ان ما حدث على عكس ذلك , فقد تأثرت المسيحية بتلك الثقافات وحادت عن ايمانها وعقيدتها واضمحلت مع تلك الأفكار والعقائد الوثنية[٢].

لقد شرع النصارى برفض التعاليم الرئيسية لشريعتهم ، وتوافقوا مع الكثير من المعتقدات الخرافية ذات الأصول الوثنية ، والتي كانت شائعة في ذلك الوقت بين طبقات المجتمع الروماني.

وينقل القاضي عبدالجبار الهمداني ,ت ٤١٥هـ ,عن النصارى :((ان قوماً من النصارى خرجوا من بيت المقدس وآتو أنطاكية وغيرها من بلاد الشام، فدعوا الناس الىّ التوراة ، وتحريم ذبائح من ليس من أهلها , وان ذلك شقَّ على الأمم ، فاجتمع النصارى في بيت المقدس ، وتشاوروا فيما بينهم يحالون على الأمم ، ليجيبوهم ويطيعوهم، فأوجب رأيهم مداخلة الأمم والرخصة لهم ، وترك مخالفتهم والاختلاط بهم والاكل من ذبائحهم))[٣].

---

(١) ينظر: مقارنة الاديان ، المسيحية ، د. احمد شلبي، مكتبة النهضة العربية ، ط١٠ ، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٨١-٨٦.

(٢) ينظر: الدولة والكنيسة، د.رأفت عبدالحميد, ص ٢٤ وما بعدها.

(٣) تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار الهمداني ت (٤١٥هـ) تحقيق: د. عبدالكريم عثمان. دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٣٨٦هـ، ج١/ص١٠٥.

وهذا احد الأمثلة على طرقهم واساليبهم الملتوية.

بهذا الأسلوب البعيد كل البعد عن تقاليد السيد المسيح (عليه السلام) وتلاميذه الأوائل، الذين تلقوا كافة أنواع الاضطهاد والتعذيب ,ولم يبدلوا او يتركوا تعليما او حكما او منهجاً للسيد المسح "عليه السلام".

لقد حضيت شرائع (بولس) بأنحرافاتها العقائدية ذات الأصول الوثنية بالقبول من قبل حكام وملوك الرومان وكانت ممهدة لهدم الأركان الأساسية للديانة المسيحية الموحدة.

المطلب الثاني: موقفه المتسامح مع النصارى

نشأة الديانة المسيحية في فلسطين، ببعثة سيدنا عيسى (عليه السلام) إلى بني إسرائيل، يدعوهم لعبادة الله تعالى وحده، مصححا لعقيدتهم التي انحرفت عن الرسالة الحقة ,التي بعث بها الله (تعالى) موسى (عليه السلام). ونزلت الآيات القرآنية مؤكدة حقيقة السيد المسيح، ورسالته لبنى إسرائيل, قال تعالى: (قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمًا﴾ (٢)، فكانت دعوته (عليه السلام)، لتوحيد الباري (عز وجل) وتنزيهه، والاخلاص له اعتقادا، وعملا.. والآيات التي نزلت، بهذا الخصوص كثيرة، منها، قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١﴾ (٣). وأنزل الله (تعالى) عليه الإنجيل ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة النساء : ١٧١.

(٢) سورة المائدة :١٧٥.

(٣) سورة آل عمرآن : ٥٠-٥١.

(٤) سورة المائدة : ٤٦.

فألانجيل الذي أكرم الله به نبيه، عيسى (عليه السلام)، جاء لهداية بني إسرائيل، لما تضمنه من توحيد وعبادة الله (تعالى) وحده، وتنزيهه، عن الشرك،[١] لكن الاناجيل الموجودة، بين أيدينا، محرفة، بعيدة كل البعد عن الإنجيل الحق الذي انزله الله تعالى على رسوله وعبده، عيسى ابن مريم [عليه السلام].[٢]

وكانت - فلسطين - تحت حكم الإمبراطورية الرومانية، وأعتنق العديد من الرومان هذه الديانة، وكانت لخلفيتهم الثقافية، المتأثرة بالفلسفة الوثنية، تأثيرها الكبير على المسار العقائدي و الطقسي للديانة المسيحية، وانتشرت بعد ذلك، في ربوع بلاد أوربا، فتشكلت النصرانية- على إنقاذ المسيحية الحقة التي بعث الله (تعالى) بها رسوله عيسى بن مريم (عليه السلام)، وفق ما أراده لها بولس - المؤسس الأول للديانة النصرانية؛ - ديانة محرفة وبعيدة عن المنهج الالهي الحق.

ومن تاريخ عبور النصرانية حدود الإمبراطورية الرومانية، شرعت بالتبشير لجميع رعايا تلك الدول - غير مكتفية على الشعب اليهودي[٣].

أخذ حكام الإمبراطورية، بمباشرة إضطهاد النصارى، (و المؤرخون يشيرون إلى عشرة إضطهادات بين سنة ٦٤م وسنة ٣١٣م)[٤]

لقد نشأت النصرانية في ظروف صعبة متأثرة بأجواء الإمبراطورية البيزنطينية الرومانية، الشديدة التمسك بتقاليدها وأعرافها، ذات الأصول الوثنية.. وقد شهد المؤمنون الأوائل بشتى أنواع التنكيل، والتعذيب، والعنف.[٥]

شهدت المسيحية، بعد ذلك، على نوع من الأمن والسلام، فقد سبق مرسوم (ميلانو)، مرسوم آخر يقضي بالتسامح الديني، فقد صدر عام ٢٦١م،مرسوم من قبل الإمبراطور جاللينيوس، ولم يحظى هذا المرسوم بالتطبيق الفعلي[٦]، والحقيقة ان هذا المرسوم، لم يفلح برفع الإضطهاد عن

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت ,ج/٨ ص٦٤.

(٢) ينظر : تأثر المسيحية بالاديان الوضعية، د. أحمد علي عجيبه. ص ١٦٤.

(٣) ينظر : أضواء على المسيحية، د. رؤوف شلبي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص ١٤-١٦.

(٤) الروم أسد رستم، ج١/ص ٣٣.

(٥) ينظر : مختصر تاريخ الكنيسة، أندروملر، شركة الطباعة المصرية، ط٤، ٢٠٠٣م، ص ٩٨-ص ١١٦، والمجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، د. سلطان عبد الحميد سلطان، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م، ص ٦٠- ٦٩.

(٦) ينظر: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، د. إسحق عبيد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٥١ - ٥٤. والدولة الكنيسة، رأفت عبد الحميد، ص٤٣-٤٧.

النصارى، إلى أن تولى الإمبراطور قسطنطين الاول الحكم، فكان له السبق في إنهاء الإضطهاد، ورفعه عنهم، حيث توافق إلامبراطور قسطنطين-أغسطس لغرب- مع وليكينيوس- أغسطس الشرق - على مرسوم يفضي إلى منح و إقرار الحريات الدينية والاعتقادية - التي حرم منها النصارى - وهو المرسوم المشهور عن المؤرخين بمرسوم ميلانو , وذلك عام ٣١٣م، (وبعث قسطنطين إلى عماله في مختلف الأقاليم يوجههم الى المساعدة في إقامة الكنائس، وأن لا يبخلوا بشيء في سبيل ذلك حتى من الخزانة الإمبراطورية ذاتها)[١].

واستطاع، بعد ذلك التخلص من، منافسه على حكم الجانب الشرقي، من الإمبراطورية، ليكون الحاكم الأوحد لها، وكان لا يترك مناسبة، إلا ويذكر بفضله، وكونه مرسلا، من السماء حاميا، وان الرب أرسله لحمايتهم، وأنه الراعي الأول للكنيسة، وبذلك نال محبة وتقديس النصارى له[٢].

وتضمن مرسوم ميلانو انتصاراً ظاهراً للمسيحية وفي حقيقة الأمر، لا يعد الا ذر الرماد في العيون فما كان إلا تمهيداً للكاهن الاعظم[٣],

الامبراطور قسطنطين الاول ليمحو ما بقي من الديانة المسيحية التوحيدية، وليقر بعد ذلك النصرانية الوثنية.

وهنا نتسائل ونقول : ما السبب الذي كان وراء موقف قسطنطين المتسامح ، تجاه النصارى؟... فهل هو بسبب إيمانه بالنصرانية؟ أم ان الدافع الرئيسي سياسي، لتوحيد الإمبراطورية، وتجنب الاضطرابات السياسية، وتمزق الإمبراطورية.[٤]

ومما لا شك فيه ان دافعه كان سياسيا، بأمتياز، وقد أكد المؤرخون المحدثين، ذالك، وإن قسطنطين، لم يكن صاحب مبادىء، وإنما كان يتخذ قراراته، وفق مصالحه الشخصية، وكان شديد الحرص، على مكاسبه السياسية، متمسكا بسلطانه، ولا يترك، أي ثغرة، تهدد مصالحه، (فأن قسطنطين قد تعاطف مع المسيحية؛ لأنه رأى بنفاذ بصيرته أنها ستتغلب في نهاية الأمر على الديانات الوثنية المتداعية ، فسارع يكسب تأييد الكنيسة وبركتها بدلاً من لعناتها).[٥]

---

(١) الدولة و الكنيسة، ص ١١٩.

(٢) المصدر نفسه :ص ١٢٢- ١٢٣.

(٣) وهو اللقب الديني الذي اطلق على قسطنطين من قبل رجال الدين من النصارى الوثنيين. المصدر نفسه,ص ١٢٥.

(٤) المصدر نفسه,ص ١٢٦.

(٥) ينظر : المصدر نفسه؛ ص ٥٤ - ٥٥.

كما يؤكد المؤرخون، بأن قسطنطين الاول بقيً على ديانته الوثنية، وإن قتله لزوجته، وولده، يشير إلى أنه، لم تؤثر فيه تعاليم المسيحية.(١)

إن المدة التي حكم فيها ألامبراطور قسطنطين الاول (٣٠٦-٣٣٧)م، كانت لها أهمية بالغة، من خلال أعماله، التي قام بها، من الجانبين الديني والسياسي، ويذكر المؤرخون عملين هامين له، هما : أعترافه بالديانة النصرانية، كديانة، رسمية الإمبراطورية الرومانية، ونقله عاصمة الإمبراطورية الرومانية، من روما القديمة (في الغرب) إلى الشرق(٢) وأنشأ فيها القصر الإمبراطوري، وسميت، بالقسطنطينية، (وجاء في التقليد أن الإمبراطور المؤسس، عندما بدا بتخطيط العاصمة الجديدة أمسك رمحا بيده وطاف حول بيزنطة٣ وأطال الطواف، فقال له رجال الحاشية :متى تقف ياسيد؟ فأجاب : عندما يقف هذا الذي يسير أمامي، وشاع بين القوم أن قوة سماوية ، كانت ترشده سواء السبيل)(٤).

ومع ان انشاءه، العاصمة الجديدة (التي اسماها رومية جديدة، والتي اطلق عليها العالم فيما بعد القسطنطينية)(٥) في ظاهره عملا سياسيا، إلا أنه كان لأسباب دينية، فأن فرضه المسيحية كديانة رسمية للامبراطورية، لا ينسجم، وهو في روما موطن الوثنية وحصنها المنيع، فعمد إلى بناء العاصمة الشرقية، التي تضم اعداداً كبيرة متزايدة من النصارى, كما كان للموقع الذي اختاره لبناء العاصمة الجديدة، أثرا اقتصاديا كبيرا، فزاد من قدراته الاقتصادية، ولولا نقله ثقل الإمبراطورية للشرق، ما تمكنت البابوية للوصول إلى المجد العظيم في العصور الوسطى.(٦)

وقد عمد قسطنطين الاول طلية مدة حكمه، ان لا يخلق ارتياب رعيته من الوثنيين وإنما، بقي في نفوسهم ذلك الشخص العظيم, الذي وحد الإمبراطورية ,ومما يؤكد توجهه هذا إنه حدد يوم الاحد المقدس عند النصارى، كعيد اسبوعي لهم، واطلق عليه بـ (يوم الشمس) (٧)، ولم يطلق

---

(١) ينظر :تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ج١، ص٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٤.

(٣) هي المدينة الرومانية التي تقع على جبال البوسفور ، العاصمة القديمة للامبراطورية الرومانية ، ينظر: الشرق الاسلامي والدولة البيزنطية زمن الايوبين، ص٣٠.

(٤) الروم في سياستهم وحضارتهم وثقافتهم ، اسد رستم، ص٦٣.

(٥) تاريخ فجر المسيحية، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر الكنيسة الاسقفية، دار الجيل، بيروت د.ت، ص ١٤٢.

(٦) ينظر : تاريخ العصور الوسطى، عاشور، ج١/ص ٤٤- ٤٦.

(٧) ينظر: الدولة والكنيسة، رأفت عبدالحميد ، ص٢٦٩.

عليه اسم (يوم السيد المسيح)، وواصل اصدار عملته النقدية حتى عام ٣٢٣م[١] ، متضمنة شعاراً للشمس، رمز وشعار الديانة الوثنية.

لقد تبينّ للامبراطور, برجاحة عقله ,ان زمن الوثنية الى زوال[٢] فاتبع سياسة مرنة ، مع الوثنيين فلم يحاول اثارتهم, فكانت إدارته للمسيحية ، والوثنية ، مثلت بين عهد العصور القديمة والعصور الوسطى, خطاً فارقاً.

---

(١) المصدر نفسه. ص٢٧٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٧٥.

المبحث الثالث
استحداثاته في الديانة النصرانية

قام قسطنطين خلال مدة حكمه باستحداث مجموعة مهمة من القرارات التي ساهمت بشكل كبير في تحريف المسيحية(١).

أولاً: اعلان الصليب شعاراً للديانة النصرانية, وجعل منها الديانة الرسمية.

وهنا يبرز السؤال الآتي: هل قبلت الامبراطورية التنازل عن دياناتها الوثنية العريقة المتأصلة في ثقافتها وحضارتها؟

والإجابة عن هذا التساؤل: إن الذي حصل بالفعل -والذي تؤكده المرويات التاريخية- هو خلاف ذلك فالمسيحية كانت مؤمنة بوحدانية الله الخالق، وبعد اختلاطها بالفلسفات الغربية الوثنية تغيرت إلى ديانة تدعو بالأقانيم, والتثليث والتجسّد(٢) ,وغيرها من المعتقدات ذات الأصول الوثنية والفلسفية, التي أخذت بالانتشار، معتمدة على قوة الامبراطورية الرومانية الوثنية ونفوذها, والتي رفعت الصليب شعاراً لها.

إن الديانة المسيحية التي اختارها الله تعالى لتكون خاصة لبني إسرائيل(٣) لم تتمكن من التصدي للأفكار والفلسفات الرومانية الوثنية, فكانت النتيجة ان اخترقت تلك الفلسفات والمعتقدات أصول الديانة المسيحية، وأخذ رجال الدين بتطبيق هذه الفلسفات والمفاهيم، كمفهوم الوحدانية والألوهية وغيرها من المصطلحات الدينية. فبرزت الأفكار التي أسست لعقيدة التثليث ودعوى الوهية المسيح (الابن)... وكان للامبراطور قسطنطين دوره الكبير في تثبيت هذه العقائد ,ومحاربة

(١) ينظر: تطوّر العقيدة النصرانية، د. وديع أحمد فتحي الشماس المصري السابق، دار التوحيد للتراث، القاهرة، د.ت ,ص١٤ وما بعدها.

(٢) ينظر: مصادر النصرانية دراسة ونقد، د. عبد الرزاق عبد المجيد، دار التوحيد للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ، ص١١٦ وما بعدها.

(٣) ينظر: خصائص التصوّر الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار القرآن –بيروت –دمشق، الكويت، ١٣٩٨هـ، ص٤٦ وما بعدها. والاسلام والفلسفات القديمة، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ص١٨٨.

الموحدين [١]. فكان لتبنيه الفكر والعقيدة الوثنية ,المتمثلة بتعدد الآلهة, أثرها البارز والكبير في تحريف الديانة المسيحية الموحدة.. وجعلها ديانة مشوهة بعيدة كل البعد عن تعاليم السيد المسيح (عليه السلام).

ثانياً: تدخله في إقرار العقائد النصرانية (الوثنية)

جاء في كتاب (تاريخ الكنيسة المفصل) وتحت عنوان العصر الذهبي للكنيسة: (ان تدخل قسطنطين في شؤون الكنيسة الداخلية... حيث رأس أول مجمع مسكوني[٢] في التاريخ... وحدد جدول الأعمال وأصدر القرارات)[٣].

ثالثاً: استحداثه لأول مجمع مسكوني (٣٢٥م) وإقراره الوهية المسيح.

المجامع: هيئات شورية, تلجأ إليها الكنيسة للبحث في القضايا المتصلة بكل ما يمس الديانة النصرانية ,وأحوال الكنيسة ومنها مجامع محلية (الخاصة) تناقش مسائل الكنيسة لمنطقة معينة، وهي خاصة لطائفة يتدارسون بها أمور عقيدتهم.

والمجامع المسكونية (العالمية) هي الجامعة لكل الطوائف والكنائس والمذاهب[٤].

وللمجامع النصرانية اسهامها، واستحداثاتها الكبيرة في الديانة -المسيحية- قبل التحريف[٥].

فيكفي أن نعرف انها الأساس في تثبيت ودعم عقيدة التثليث -التي لم ينادي بها السيد المسيح (عليه السلام) ولا تلاميذه من بعده .

ولأهمية المجامع عند النصارى.. نجدهم يؤصلون لها .باعتبار كونها أسست في زمن السيد المسيح (عليه السلام)، وتجددت الحاجة إليها في العصر الرسولي الأول, إثر خلاف بين فريقين من المؤمنين... وعلى ذلك، فكلما كانت هناك مصلحة لعقد مجمع.. يجتمع المؤمنون وينظروا

---

(١) ينظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار القرآن –بيروت –دمشق، ١٣٩٨هـ، ص٢٣٧.

(٢) هي هيئات تشاورية ، تبحث في شؤون الكنيسة، ينظر: مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا الياس كساب، بيروت ، ط٢، ١٩٩٨م، ص١٠.

(٣) تاريخ الكنيسة المفصل، بولس باسيم، دار المشرق، ط١، بيروت، د.ت,ج١، ص١٤٩.

(٤) ينظر: أضواء على المسيحية، د. رؤوف شلبي، ١٩٧٥م ص٩٤.

(٥) ينظر: على سبيل المثال: المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، د. سلطان عبد الحميد سلطان، ص١٨.

في وجوب انعقاده[١].

مما تقدم من تعريف للمجامع يمثل اعتقاد النصارى (أما من وجهة نظر الدارسين من الباحثين في علم الأديان, وغيرهم. فهذه المجامع عبارة عن امكان يحددها رجال الدين النصارى ,أو بأوامر السلطان الحاكم ,لإنشاء بدعٍ أو للتحريف وللتغيير في نصوص كتبهم المقدسة، وفق ما توجبه مصلحتهم وأوضاعهم)[٢].

وبخصوص أهلية القرارات الصادرة من هذه المجامع، يقول صاحب كتاب مجموعة الشرع الكنسي: (وفي هذه المجامع ثبتت نهائياً عقائد الإيمان القويم، ووضعت قوانين عديدة لحفظ النظام في الإدارة الكنسية)[٣].

مما تقدم ثبت ان للمجامع عند النصارى, القول الفصل في جميع المسائل العقائدية والأحكام الشرعية، والقضايا الإدارية الكنسية.

وإجمالاً يمكن القول: إن هذه المجامع تبين وبشكل واضح الدوافع التي شاركت في تأسيس الديانة النصرانية –على ما هي عليه اليوم- كذلك شاركت في نموها وبالأحرى فسادها وبطلانها والترويج لها، وخاصة في الظروف العصيبة التي عاصرت عهد السيد المسيح وحواريه من بعده (عليهم السلام)[٤].

ومن المعلوم أن التلاميذ ,الاثني عشر وأتباع عيسى (عليه السلام) ,لم يكونوا قادرين على ممارسة مهامهم وأنشطتهم الدعوية في القدس الشريف.. وكانوا مهددين بالمخاطر التي كانت تحيط بهم, كما تبين لنا هذه المجامع الكيفية التي من خلالها تم انقسام الكنائس عقائدياً, وغير ذلك من المسائل المتعلقة بالديانة النصرانية.

والمجمع المسكون الأول والمعروف بمجمع نيقية[٥] عام (٣٢٥م)، الذي أمر بعقده الامبراطور قسطنطين[٦]، والذي يعد (التجمع الأول من نوعه) في الديانة النصرانية. وكان بمثابة مؤتمر كبير

---

(١) ينظر: مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا الياس كساب، منشورات النور، بيروت –لبنان، ط٢، ١٩٩٨م، ص١٠.

(٢) ينظر: على سبيل المثال: المسيحية، د. احمد شلبي، ص٢٠١-٢٠٢ بتصرف.

(٣) مجموعة الشرع الكنسي، إلياس كساب، ص١.

(٤) ينظر: المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبر، ترجمة الدكتور: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، بيروت،د.ت, ص٦٥.

(٥) نيقية: مدينة قديمة في بثينيا (آسيا الصغرى) وهي واقعة في شمال غرب تركيا.

(٦) ينظر: تاريخ الفكر المسيحي، د. حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٨١م، ج١/ ص٦٢٥.

حضره جمع كبير, يقال إن عددهم ثمانية عشر وثلاثمائة من الأساقفة, مع أعداد غفيرة من قساوسة وشماسة وغيرهم من رجال الدين.. وقيل إنهم كانوا الفان وثمانٍ وأربعون أسقفاً, منهم ثلاثمائة وثمانية عشر، من الذين يؤيدون عقيدة الوهية السيد المسيح (عليه السلام)[١].

محاربة الاريوسيين[٢] (الموحدين):

من أهم الأسباب التي دعت الإمبراطور قسطنطين لعقد هذا المجمع قوة الاختلاف بين المسيحيين في شخص المسيح (عليه السلام).. هل هو مرسل من الله تعالى ومخلوق فقط؟ أم أن له صلة بالله مختلفة ولها خاصية معينة؟ أم أنه إله؟ وهذا الخلاف برز بعد دخول جماعات من خلفيات متباينة منها وثنية ومنها فلسفية في –الديانة النصرانية- وكانوا متأثرين بما ورثوه من عقائد وثنية وفلسفات مادية وغير ذلك[٣].

وهذا الاختلاف حول شخص السيد المسيح ,لم ينشأ في القرن الرابع الميلادي, وإنما كان موجودا قبل ذلك الزمن, ولكن مخاوف النصارى وقلقهم, من المحن والاضطهاد الممنهج ضدهم, من قبل الرومان واليهود ,كان يشغلهم عن الخوض في تلك المسائل العقائدية ,بل حتى عن التصريح بدينهم، حتى مجيء الإمبراطور قسطنطين الاول وَمَنْحِهم الحرية الدينية والأمن, فاطمأن القوم، وظهرت هذه الخلافات واشتدَّ سعيرها، وكادت أن تمزق وحدة الإمبراطورية[٤].. حيث مثلت البذور الاولى لقيام خلافات شديدة بين رعايا الإمبراطورية الرومانية.

وهناك سبب أساسي لعقد هذا المجمع، وهو ما عُرف عند النصارى -في تاريخهم- بالهرطقة الآيوسية أو بدعة آريوس وهو شخص من أصل ليبي تعلّم ودرس العلوم اللاهوتية، ورحل بعدها للإسكندرية وتولى الكهانة في أحد كنائسها، وذكرت بعض المصادر أنه عمل كشماس فيها، وتمكن بما يملكه من مؤهلات علمية وثقافية وأخلاقية من كسب قلوب الناس، فاستطاع أن يستقطب فئات من مجتمع الاسكندرية، وخاصة من العاملين في الكنيسة من رجال الدين الذين

(١) ينظر: محاضرات في مقارنة الأديان، أحمد إبراهيم خليل، الطبعة الأولى، القاهرة، دار المنار، ١٩٨٩م، ص٢٢. ومحاضرات في النصرانية، الشيخ محمد أبو زهرة، ص١١٤.

(٢) اتباع اريوس كاهن الاسكندرية الذي كان يدعو الى التوحيد ونفي الوهية المسيح (عليه السلام). ينظر: تاريخ الفكر المسيحي، المجلد الاول ، ص٦٢٧.

(٣) ينظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص١١٢.

(٤) ينظر: مصادر النصرانية دراسة ونقد، د. عبد الرزاق عبد المجيد، ص٧٣٤-٧٣٥.

أحبوه لطريقته في الإرشاد والتبشير[١]. وأخذ آريوس ينتقد ويفند أسس الديانة النصرانية (البولسية) ويدحضها. داعياً إلى التوحيد الخالص (لله تعالى) وهو ما أدى إلى تشدد رجالات الديانة النصرانية -من قساوسة وأساقفة- معه وأتباعه، واعتبروا دعوته هذه خطراً يهدد بدمار الكنيسة.

ويمكن اعتبار الحركة الآريوسية هذه أعظم وأفظع ما واجهته الكنائس المسيحية (البولسية), ونتيجة لذلك انقسمت الكنائس النصرانية إلى الموحدين المنكرين لألوهية السيد المسيح (عليه السلام), وإلى المقرين بألوهيته ,وهذه المسألة الخطيرة لفتت نظر واهتمام الامبراطور قسطنطين الاول , وحملته إلى الدعوة لعقد مجمع نيقية عام (٣٢٥م).

وعند مراجعتنا للمراجع النصرانية نجدها جميعها تتكلم وتصف آريوس وأتباعه بالإلحاد والهرطقة والضلال عن السبيل المستقيم[٢], لقد واصل أتباع آريوس دعوتهم واعتقادهم مع كل ما واجهوه من تحديات.

اقرار قسطنطين الاول بألوهية المسيح (الابن)

هناك مجموعة من القرارات التي خرج بها مجمع نيقية (٣٢٥م) والذي يهمنا هنا بيان، القرار الأهم في نقل الديانة المسيحية إلى دين وثني, فقد تم –في هذا المجمع- اختيار دستور الإيمان النيقاوي[٣]، الذي عرضه ممثلي كنيسة الإسكندرية وأتباعه من المؤلهين للمسيح (الابن) والمساويين له مع الأب في الجوهر, وهم وفود يمثلون أقليات في المجمع، وتم رفض ما اعتقده الآريوسيين, ومن وافقهم الرأي، بالرغم من انهم الأكثر عدداً والأقوى برهاناً وحجة.

وتنقل لنا المصادر أنه حدث في هذا المجمع جدال ونقاش مستفيض, حول ألوهية المسيح من عدمها, وقد شارك الإمبراطور قسطنطين في هذا الجدال , وبت فيه في نهاية الأمر, فقد تيقن ما سيكون في قاعة الاجتماع , وما ينتج عنه من خلافات خطيرة، قد تؤدي إلى تمزيق دولته. فأختار ما يتوافق -وعقيدة الرومان- وهي الوثنية "المتمثلة بتعدد الالهه والتجسد والحلول" وبذلك يصون وحدة الامبراطورية ,ويضمن أمنها, فوجد هذا الاعتقاد ملائما لعقيدة قومه الوثنية ,الراسخة والمتوارثة عندهم، وهي الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية منذ القدم.

---

(١) ينظر: وثائق الكشف الأوروبي عن مخطوطتين من إنجيل برنابا (مقدمات إنجيل برنابا)، مجموعة من المؤلفين، ط١، ١٩٩١م، ص٣٤. وينظر: تاريخ الفكر المسيحي، حنا جرجس الخضري، ص٦٦٩.

(٢) ينظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد احمد الحاج، ط١، ص١٦٨ وما بعدها.

(٣) ينظر: تاريخ الفكر المسيحي، حنانيا إلياس، ص٤١، ٩٧-١٠٠.

نفيه الموحدين وحرق كتبهم:

أصدر قسطنطين الاول قراره بنفي آريوس وجماعته ومن وافقهم، ممن رفضوا تأليه المسيح (الابن)[١] ولم يكتفي بذلك, فقد أمر بحرق كتبهم وجميع مؤلفاتهم، ومنع حيازتها أو إخفائها.

رابعاً: فرضه الاناجيل (الأربعة)

ومما سبق يمكن القول: ان نشأة هذا المجمع وغيره من المجامع النصرانية[٢] هي فكرة دخيلة وطارئة على دعوة السيد المسيح (عليه السلام), وإنها تمثيل حقيقي لتحول الحقوق التشريعية الإلهية, من الوحي الرباني الإلهي, إلى أفكار وأهواء الإنسان التي كثيراً ما يحكمها الحب والرغبة في تحقيق مصالح ونزوات دنيوية. وهناك إشارات تؤكد هذه الحقيقة منها ,انهم لم يستشهدوا أو يعتمدوا على نص من نصوصهم المقدسة (كتابهم المقدس) وكان لحضور الامبراطور دوره الكبير في مجريات ونتائج هذا المجمع, فقد مارس سلطته وتأثيره القوي في اعتماده رأي القائلين بألوهية المسيح (الابن), وقد سيطرت الرهبة والفزع على معظم الحاضرين، وخاصة أولئك المتمسكين بآراء آريوس، ولم يشعر الحضور بالحرية الكاملة بإبداء آرائهم والتصريح بأفكارهم[٣].

ومما يؤكد أهمية هذا المجمع في تأسيسه لثالوث النصارى, أنه تم فيه إقرار الأناجيل[٤] التي تتوافق وعقيدة تأليه المسيح وإتلاف بقية الأناجيل الأخرى.

خامساً: إتحاد الكنيسة بالدولة.

لهذاالاستحداث ألاثر الكبير في دعم النصرانية (الوثنية)، وضمان ديمومتها على ما هي عليه من الباطل والبهتان.

وهو نتيجة لما سبق من استحداثاته في النصرانية ,التي تظافرت سوياً لتشكل وحدة الكنيسة بالدولة، فقد اختلط وتمازج المسارين الديني والسياسي (الدنيوي) وفي جميع مظاهر الحياة [٥]،

---

(١) ينظر: محاضرات في مقارنة الأديان، احمد إبراهيم، ص٢٢، ومصادر النصرانية دراسة ونقد، ص٧٥٠.

(٢) ينظر: المسيحية، د. احمد شلبي، ط١، ص٩٨.

(٣) ينظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية،الواء احمد عبد الوهاب, ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٠٧.

(٤) مقارنة الأديان ، المسيحية ، د. احمد شلبي، ص١٩٨.

(٥) ينظر: الدولة والكنيسة، رفعت عبدالحميد، ص٧-٨.

حيث تداخلت المواضيع العقائدية بمسائل السياسية والاقتصاد، والثقافة ... الخ.

وقد عبر عن هذا الواقع أحد اهم مؤرخي الكنيسة(يوساب القيصري)[1] بمصطلح (التزاوج بين الكنيسة والدولة) فقد أصبحت الكنائس المسيحية كدائرة حكومية، تابعة للامبراطور الحاكم.

(١) المصدر السابق نفسه، ص٨.

الخاتمة واهم النتائج

اختم البحث بأهم ما توصلت اليه من نتائج.

١. تميزت شخصية الامبراطور قسطنطين، بمؤهلات عالية، اجاد استخدامها لتكون سبيله في استحداثاته ، واعماله الخطيرة، المتمثلة في تعزيز وإسناد النصرانية (الوثنية) واضعاف وتشتيت الموحدين من المسيحيين.

٢. تبينّ ان قصة تنصره غير حقيقية بل زائفة، وباطلة فقد اظهر تمسكه، بخلفيته الوثنية وقد رافق قصة تنصره، قصص وحكايات خرافية، وجدت قبولاً عند عامة رعيته ، عكست خلفيتهم الوثنية، وما ورثوه من عباده وتأليه أباطرتهم.

٣. من اهم استحداثاته، هي إنشاءهِ لعلاقة هجينة بين الدولة المتمثلة بشخصه والكنيسة، مبنية على الوحدة بينهما فيما يقرره الامبراطور.

٤. تفرده بالقرارات الكنسية ,وأصبحت من بعده سُنة اتباعها اباطرة الرومان.

٥. استحداثه الخطير، ذا التأثير المباشر في تحريف الديانة المسيحية ، المتمثل بالدعوة لاقامة المجامع الدينية العامة (المسكونية)، وأصبحت من بعده عرفاً عند الاباطرة ، فكلما أرادوا ان يثبتوا أو يُغلوا عقيدة او طقساً في الديانة النصرانية دعوا الى إقامة المجامع.

٦. كانت دعوته لانشاء المجمع المسكوني الأول، وما خرج به من قرارات ، مثلث بداية الحرب على الموحدين من المسيحيين فمن خلاله، أقرَّ أخطر مسألة عقائدية ,هدمت اركان الديانة المسيحية الموحدة وهي إقراره بالوهية المسيح (الابن).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية،احمد عبد الوهاب, ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢. أضواء على المسيحية,د.رؤوف شلبي,منشورات المكتبة العصرية,بيروت,٢٠٠٢م.

٣. تثبيت دلائل النبوة,القاضي عبد الجبار الهمداني,ت»٤١٥هـ» تحقيق:د.عبد الكريم عثمان,دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع,بيروت,١٣٨٦هـ.

٤. أضواء على المسيحية، د. رؤوف شلبي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٥. الجانب المظلم في التاريخ المسيحي,هيلين ايليرين,ترجمة:أ.د.سهيل زكار,دارقتيبة للطباعة والنشر,د.ت.

٦. اوربا العصور الوسطى التاريخ السياسي,د.محمد سعيد عبد الفتاح عاشور,مكتبة النهضة المصرية,القاهرة,١٩٥٩م.

٧. الروم في سياستهم وحضارتهم وثقافتهم, أسد رستم,مؤسسة الهنداوي,٢٠١٧م.

٨. الاسلام والفلسفات القديمة ,أنور الجندي,دار الاعتصام, القاهرة, ١٩٧٦م.

٩. الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، د إسحق عبيد، دار المعارف، القاهرة ، د.ت,١٩٧٢م.

١٠. الكتاب المقدس, العهد الجديد,منشورات دار المشرق,بيروت ــ لبنان,١٩٨٨م.

١١. المجمع المسكوني الاول,الاب انطوان عرب,مكتبة الكتب المسيحية,ط٥,د.ت.

١٢. المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية, د.سلطان عبد الحميد سلطان,مطبعة الامانة, القاهرة,١٩٩٠م.٨ . تأثر المسيحية بالأديان الوضعية د أحمد علي عجيبة .دار الآفاق العر العربية و القاهرة، طاء ٢٠٠٦ م.

١٣. المسيحية نشأتها وتطورها,شارل جنيبر,ترجمة :د.عبد الحليم محمود,منشورات المكتبة المصرية,د.ت.

١٤. تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، سيد أحمد علي الناصري النهضة العربية، ١٩٩١ م .

١٥. تاريخ الفكر المسيحي، د. حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٨١م.

١٦. تاريخ الكنيسة المفصل، بولس باسيم، ترجمه انطوان الغزال وصبحي حمود اليسوعي، دار المشرق ، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م.

١٧. تاريخ فجر المسيحية، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر الكنيسة الاسقفية، دار الجيل، بيروت,د,ت.

١٨. تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار الهمداني ت (٤١٥هـ), د.عبدالكريم عثمان. دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٣٨٦هـ.

١٩. تطوّر العقيدة النصرانية، د. وديع أحمد فتحي الشماس المصري السابق، دار التوحيد للتراث، القاهرة, د,ت.

٢٠. تكوين أوربا، كريستوفر دوس، ترجمة : سعيد عبد الفتاح عاشور، محمد مصطفى زيادة سلسلة الألف كتاب مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٦٧م.

٢١. حياة قسطنطين العظيم، يوسابيوس القيصري، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢٢. خصائص التصوّر الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار القرآن –بيروت –دمشق، الكويت، ١٣٩٨هـ.

٢٣. الدولة والكنيسة، د. رأفت عبدالحميد، دار قباء للطباعة والنشر ,١

٢٤. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار القرآن –بيروت –دمشق، ١٣٩٨هـ.

٢٥. مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا الياس كساب، منشورات النور، بيروت –لبنان، ط٢، ١٩٩٨م.

٢٦. محاضرات في النصرانية، الشيخ محمد ابو زهرة ، الرئاسة العامة للدراسات والبحوث، الرياض، ١٤٠٤هـ .

٢٧. محاضرات في مقارنة الأديان، أحمد إبراهيم خليل، الطبعة الأولى، دار المنار,القاهرة ، ١٩٨٩م.

٢٨. مختصر تاريخ الكنيسة، أندرومل، شركة الطباعة المصرية، ط٤، ٢٠٠٣.

٢٩. مصادر النصرانية دراسة ونقد، د. عبد الرزاق عبد المجيد، دار التوحيد للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٣٠. معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى، د. محمود سعيد عمران،مؤسسة هنداوي ,د.ت، ٢٠١٨م.

٣١. مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

٣٢. مقارنة الاديان ، المسيحية ، د. احمد شلبي، مكتبة النهضة العربية ، ط١٠ ، القاهرة، ١٩٩٨م.

٣٣. النصرانية من التوحيد الى التثليث، د. محمد احمد الحاج، دار القلم، الدار الشامية، بيروت ، ط١، ١٩٩٢.

٣٤. وثائق الكشف الأوروبي عن مخطوطتين من إنجيل برنابا (مقدمات إنجيل برنابا)، مجموعة من المؤلفين، ط١، ١٩٩١م.

المواقع الالكترونية:

الامبراطور قسطنطين الحواري الثالث عشر, الشفيع الماحي أحمد. الموقع الإلكتروني:
https://books.e3raf.co.